عدد 10 (1998) ، 51-57

ترتيب الحروف العربية ومخارجها: دراسة مقارنة

ملخص

أهتم اللغويون العرب بتقسيم الحروف العربية وترتيبها حسب مخارجها وفي هذا البحث أردت أن أعقد مقارنة لأتبين من خلالها أوجه الاتفاق والاختلاف بين هؤلاء اللغويين قديما وحديثا.

أ.د. **آمنة بن مالك**
معهد الآداب واللغة العربية
جامعة منتوري
قسنطينة، الجزائر

Résumé

Les linguistes arabes se sont toujours préoccupés de la répartition et du classement des lettres et leurs articulations.

Dans cet article, l'auteur se propose d'établir une comparaison pour démonter les points de convergence et de divergence entre les linguistes classiques et modernes.

مقارنة بين ترتيب الحروف العربية ومخارجها:

لقد صنف القدماء الحروف العربية إلى أصول وفروع ورتبوها ترتيبا لا نكاد نجد فروقا جوهرية بينهم في هذا المجال، وللوقوف على هذه الحقيقة لابد لنا من الرجوع إلى بداية الدرس اللغوي للأصوات عند العرب، ولعل أول من يطالعنا في هذا المجال هو شيخ اللغويين العرب الخليل بن أحمد الفراهيدي في أبجديته الصوتية المعروفة.

يقول الخليل: (في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا، لها احياز ومخارج، وأربعة هوائية، وهي الواو والياء، والألف اللينـة والهمزة) (1).

ثم يرتب الحروف الأصول كالتالي:

(ع ح ه خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، فهذه الحروف الصحاح).

أما الحروف الهوائية فهي:

(و، ى، ء) (2).

وواضح من خلال قول الخليل انه رتب الحروف بحسب مخارجها الصوتية مبتدأ بالأصوات الحلقية (ع، ح، هـ) منتهيا بالأصوات الشفوية (ف، ب، م) مراعيا التقارب أو التباعد الحاصل بين الأصوات من حيث مخارجها، وما تشترك فيه من صفات صوتية، معتمدا على جهاز النطق عند الانسان الذي يحدد صفاتها متعرفا على حدوده بأجزائه المختلفة، وقد استقر له ترتيب الحروف صوتيا على النحو الذي سنبينه في الجدول.

جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1998©

والنظر في ترتيب هذه الأصوات عند الخليل يدل دلالة قاطعة على ماذهب اليه علماء اللغة المحدثون في تعيين مخارج الأصوات، وخصائص تلك المخارج وبعض أعضاء النطق مثل الحنجرة.

ثم جاء بعده الخليل سيبويه فرتبها على النحو الذي يشير اليه قوله: " هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها، ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها.

فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا: (ء، أ، هـ، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ى، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و).

وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: «النون الخفيفة، والهمزة التي بين والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم» (3).

وقد وزع سيبويه هذه الحروف بحسب مخارجها على ستة عشرة مخرجا كما هو مبين في الجدول.

أما ابن جني فيرتب في كتابه « سر صناعة الإعراب» الحروف الأصول كالتالي: «ء، أ، هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ى، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ت، ف، ب، م، و» (4).

وهذا الترتيب هو ترتيب سيبويه نفسه عدا اختلافهما في موضع القاف والكاف حيث أن سيبويه أوردهما كاف ثم قاف بينما أوردهما ابن جني عكس ذلك. وقد اعتمد ابن جني في تسويته للحروف على مخارج الأصوات العربية كما تفهم اليوم في ضوء تشريح الجهاز النطقي، واستخدام المناهج الآلية هي: المخرج الحنجري والحلقي، واللهوي، والطبقي، والغاري، واللثوي، ثم الاسناني اللثوي، والاسناني، والشفوي الاسناني، والانفي.

فالحنجرة مخرج (الهمزة والهاء)
والحلق: مخــرج (العين والحاء)
واللهــاة: مخـرج (القاف)
والطبقي: مخرج (الغين، والخاء، والكاف)
والغار: مخــرج (الجيم، والشين، والياء)
واللثـة: مخــرج (اللام، والراء) (5).

وتشترك مع الألف في إخراج النون.

ومن الأسنان واللثة: مخرج (السين، والصاد، والزاي، والتاء، والطاء، والدال، والضاد).

ومن الأسنان: مخرج (الثاء، الظاء، الذال).

ومن الشفة: (الباء، والواو، وتشترك مع الأنف في إخراج الميم)، وقد يتفرع عن هذه أصوات فرعية بحسب المواقع.

وحينما نتأمل هذا الترتيب للأصوات يمكننا استنباط أوجه الاختلاف والاتفاق بين القدماء أنفسهم، ويمكن بالتالي معرفة المدى الذي اقترب أو ابتعد فيه كل منهم عن التقسيم الحديث الذي أسعفته الآلة، وفتح المغالق أمامه علم التشريح. ويمكن إيجاز هذا فيما يأتي:

جدول مقارنة ترتيب الحروف العربية
عند القدماء والمحدثين

الخليل	سيبويه	ابن جني	العصر الحديث
ع	ء	ء	ء
ح	ا	ا	ه
ه	ه	ه	ع
غ خ	ع	ع	ح غ
ق	ح	ح	خ
ك	غ	غ	ك
ج	خ	خ	ج ش
ش	ك	ق	ي
ض	ق	ك	ل
ص	ض	ج	ر
س	ج	ش	ن
ز	ش	ي	س ص
ط	ي	ض	ز
د	ل	ل	ت
ت	ر	ر	ط
ظ	ن	ن	د
ذ	ط	ط	ظ
ث	د	د	ث ض
ر	ت	ت	ذ
ل	ص	ص	ف
ن	ز	ز	ب
ف	س	س	م
ب	ظ	ظ	و
م	ذ	ذ	ا
و	ث	ث	ي
ا	ف	ف	ء
ي	ب	ب	
ء	م	م	
	و	و	

ملاحظة: رتب القدماء الحروف العربية ترتيبا تنازليا عكس المحدثين (وهناك ترتيب آخر تصاعدي نذكره فيمايلي)

جدول مخارج الحروف عند القدماء (دراسة مقارنة)

العضو المصوت	سيبويه ق 2هـ	ابن جني ق 4هـ	المفصل للزمخشري مع شرح ابن يعيش 643 هـ	ابن الجزري 833 النشر في القراءات العشر
أقصى الحلق	ء، هـ، أ	ء، هـ ا	ء، هـ ا	ء، هـ
وسط الحلق	ع، ح	ع، ح	ع، ح	ع، ح
أدنى الحلق	غ، خ	غ، خ	غ، خ	غ، خ
أقصى اللسان اللهاة	ق	ق	ق	ق
ظهر اللسان أقصى الحنك اللهاة	ك	ك	ك	ك
ظهر اللسان وسط الحنك	ج، ش، ى	ج، ش، ى	ج، ش، ى	ج، ش، ى
حافة اللسان و ما يليه من الأضراس	ض	ض	ض	ض
حافة اللسان وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية	ل	ل	ل	ل
حافة اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا	ن	ن	ن	ن
ظهر اللسان وانحرافه قليلا الى اللام	ر	ر	ر	ر
جانب طرف اللسان و أصول الثنايا	ط، د، ت	ط، د، ت	ط، د، ت	ط، د، ت
جانب طرف اللسان و فويق الثنايا	ز، س، ص	ز، س، ص	ز، س، ص	ز، س، ص
ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ظ، ذ، ث	ظ، ذ، ث	ظ، ذ، ث	ظ، ذ، ث
باطن الشفة السفلى و اطراف الثنايا و العليا	ف	ف	ف	ف
مابين الشفتين	ب، م، و	ب، م، و	ب، م، و	ب، م، و
من الخياشيم	ن الخفيفة	ن الخفيفة	ن الخفيفة	ن الخفيفة

جدول مخارج الحروف عند المحدثين (6).

الشفتان	ب، م، و	شفوى
الشفة السفلى و الأسنان العليا	ف	شفوى أسناني
الأسنان و طرف اللسان	ظ، ذ، ث	أسناني
الأسنان واللثة طرف اللسان و مقدمه	د، ط، س، ث، ض، ز، ص	أسناني لثوي

اللثة و طرف اللسان	ن، ل، ر	لثوي
الغار و مقدم اللسان	ج، ش، ى	غاري
وسط الحنك و وسط اللسان	الألف	غار طبقي
المطبق و مؤخر اللسان	ك، خ، ط، غ	طبقي
اللهاة و مؤخر اللسان	ق	لهوي
الحلق	ع، ح	حلقي
الحنجرة	هـ، ء	حنجري

وما نستنتجه من هذه المقارنة المتواضعة لترتيب الأصوات ومخارجها عند سيبويه وابن جني أن ابن جني وان اعتمد ترتيب سيبويه قد تفوق على سيبويه في هذا المقام بالمقارنة مع ما يقره علم الأصوات الحديث.
ويتضح ذلك مثلا من تقديم ابن جني القاف على الكاف بما يتفق والتقسيم الحديث وتقديم الـ (ج، ش، ى) على الضاد خلافا لسيبويه.
وما يجدر بنا أن نشير إليه في هذا المجال:
1 - أنه لا يجب التسليم بما جاء به الأقدمون في جملته وتفاصيله وقبوله على علاته.
2 - أن هناك خلافات بين معطيات الأقدمين والمحدثين أشار إليها الدكتور هادي نهر في محاضراته في الصوتيات يمكن إيجازها كالتالي:

أولا: لقد خالف سيبويه الخليل بجعله الهمزة أول الأصوات العربية وتابعه ابن جني وهذا حكم سليم قياسا إلى ما توصل إليه المحدثون، مع فارق واحد هو أن القدماء قد جعلوا مخرج الهمزة من (أقصى الحلق) ومخرجها عند المحدثين من (الحنجرة) إذ أن الحنجرة أسبق من الحلق. وما يعلل قبول رأيهم أنهم أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة (بأقصى الحلق) على الرغم أن القدماء لم يشيروا إلى الحنجرة في كلامهم ولم يعدوها من مخارج الأصوات العربية (7).

ثانيا: عد سيبويه ووافقه ابن جني (آلاف) من ذوات المخارج، ومخرجها عندهما من (أقصى الحلق) ولم يذكرها المحدثون منسوبة إلى مخرج معين بوصفها حرف مد يمثل في اللغة العربية وفي كل مواضعه حركة هي الفتحة الطويلة، وما نطقها إلا نتيجة لهيئة حنجرة الرئتين لا إقفال ولا تضييق في مخرج بعينه شأنها في ذلك شأن العلل والحركات (فليس للألف نفطة إنتاج معينة على طول مجرى الهواء، لأن اللسان يكون معها في واقع الأمر في وضع راحة ممتد (8) وهذا ما شعر به الخليل كما أشرنا حين تصور أنها تخرج من مكان لا يمكن مده إذ وجدها تتغير دائما بأن تكون أولا وثانيا وثالثا فدفعه ذلك إلى اعتبارها حرفا هوائيا وضمها إلى حروف العلة.
وقد يتعرض البعض على اعتبار الألف حركة في كل مواضعه كالياء والواو وقد ذكر في أبجدية المحدثين، وهذا الاعتراض مردود، لأن للياء والواو جانبان: الأول كونهما حركتين طويلتين أيضاهما الضمة والكسرة.

والثاني كونهما من الأصوات الصائتة. وهما مذكوران في أبجدية سيبويه وابن جني بهذا الوصف الأخير. بدليل وضع (الياء مع الجيم والشين)، وهذا ما لا يمكن عمله بالنسبة للياء المدنية (أي الكسرة الطويلة) (9).

ثالثا: وإذا كان حكم سيبويه وابن جني على الهمزة بأنها أول الحروف مخرجا حكما سليما لا غبار عليه بالمنظور الحديث، فإنما يقع الإعراض عليهما من زاوية جعلهما الواو آخر الحروف مخرجا واعتبارها حرفا شفويا، تخرج من أقصى الحنك أي من منطقة الكاف أو ما يقرب منها، مع اتخاذ الشفتين وصفا معينا ولكن ذلك لا يكفي لعدها شفوية، وإذا أردنا أن نجمع بين هاتين الجهتين يمكن القول بأن الواو (حنكية - قصية) أي من (أقصى الحنك) شفوية، وربما يكون وضعها مع الكاف وأخواتها أدق من وضعها مع الباء والميم وبالرغم من أن بعض المحدثين من علماء الأصوات قد اتفقوا مع سيبويه وابن جني في عد الواو شفوية.

رابعا: أخر سيبويه وابن جني (القاف) في الترتيب عن الغين والخاء مع أن القاف مخرجها عند اللهاة ومخرج الثلاث الأخريات في النطق وهو الجزء الرخو سقف الفم أمام اللهاة مباشرة، ولهذا السبب يضع المحدثون القاف قبل الغين والخاء سابقة لهما لا تالية ومن المحدثين من يضم القاف إلى الغين والخاء ويسمى الثلاثة الأحرف اللهوية.

خامسا: قدم سيبويه وابن جني " الضاد" في الذاكرة والمخرج، وحقها اليوم أن تذكر في موضع متأخر بأن توضع مع المجموعة الاسنانية اللثوية وهي (ط، د، ت) هذا إذا تجاهلنا حقيقة ما أصاب نطق " الضاد " عبر العصور، فقد فقدنا اليوم نطقه تماما وخرجت به كل لهجة عربية مخرجا جديدا متراوحا بين الظاء والدال المفخمة، والطاء، ومن هنا يرى البعض وجوب التسليم بالوصف القديم (10).

لكن ما يجدر قوله هنا أني أشاطر رأي الدكتور هادي نهر في كون الضاد القديمة التي نسبت إلى العرب وافتخروا بها، والتي وصفها سيبويه في (الكتاب) ووصفها ابن جني وغيرهما من اللغويين، هي غير التي ننطقها اليوم، وأن تلك الضاد قد طواها التاريخ في تضاعيف الزمن وأصبحت حلقة مفقودة في الدراسات الصوتية في اللغة العربية، لكن لي رأيا متواضعا في كون هذا الفقدان لم يكن مطلقا بدليل أن بعض الباحثين المحدثين يميل إلى الأخذ بأن ضاد العراقيين في لهجتهم العامية، وكذلك أهل نجد والخليج العربي، هي أقرب ما تكون إلى صوت الضاد القديمة وما دامت بقايا للضاد العربية الأصلية، فلم نسلم بالوصف القديم؟ وبقاياه موجودة في بعض اللهجات المعاصرة، والدراسة اللسانية الحالية هي دراسة آنية وصفية وعلم اللهجات أو الدياليكنولوجيا من أهم الفروع المثرية للدرس اللغوي الحالي.

سادسا: جعل سيبويه ووافقه ابن جني مخرج (الصاد، والزاي و السين) من بين طرف اللسان وفوق الثنايا، فهو على هذا الأساس يلي مخرج (الطاء، والدال، والتاء) ويعد

اليوم العكس فيتقدم (الصاد والزاي والسين) مخرجا ورتبة ثم تليه مجموعة (الطاء، والدال، والتاء). والملاحظ في نطقنا الحالي للزاي والسين والصاد هو وضع طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدم اللسان باللثة التقاء خفيفا من شأنه أن يحدث الاحتكاك الذي نسمعه عند نطقها ومعنى هذا أن هذه الأصوات (سنية) لو نظرنا إلى الوضع الأول، ولكنها لثوية بالنسبة إلى الوضع الثاني، ومعناه أيضا صحة تسميتها أصواتا: أسنا نية، لثوية بالاعتبارين معا وهذا هو الذي دفعنا إلى ضم الضاد والطاء والدال والتاء معها وجعلها من مخرج واحد (11).

أما ترتيب بقية الأصوات عند سيبويه وابن جني فهو ترتيب معقول ومقبول بل انه - كما في حالة الفاء والباء والميم مثلا - فقد بلغ غاية في الدقة، والذي يعكر صفو الرجلين ومن تابعهم من القدماء في الترتيب هو نسبة بعض هذه الأصوات إلى مخارج يختلف الدرس الحديث معهم.

المراجع والحواشي

1- لخليل.معجم العين.ص 64 - 68.
2 - م.ن.ص 65.
3 - سيبويه. الكتاب. ج: 4. ص 131 - 432.
4 - ابن جني سر صناعة الإعراب.ج: 1 ص 50.
5 - راجع: محاضرات الدكتور هادي نهر. بين الحرف والصوت. ص13.
6 - احمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي. ص 275.
7 - م.ن.ص 17.
8 - سيبويه. الكتاب. ج: 2، ص 404.
9، 10، 11 - محاضرات الدكتور هادي نهر. ص 17، 18، 19 □